أكثر من ذلك، لقد تعزّزت مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، بشكل بارز، في منتصف العام ١٩٧٣، بالاعلان الذي وافقت فيه المانيا الديمقراطية على فتح مكتب للمنظمة في برلين الشرقية[١٢٠]. وكان هذا دليلاً على ان الاعتراف السوفياتي الرسمي بالمنظمة لن يتأخر مجيئه. وقد تعزّزت وجهة النظر هذه بقرار اجتماع الاحزاب الشيوعية العربية في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣، الذي ورد فيه «ان حركة المقاومة الفلسطينية تمثّل الشعب الفلسطيني». ومع ذلك، لم تشر التعليقات السوفياتية الى المنظمة بالاسم، فقد حذفت الترجمات السوفياتية لقرارات مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣، القرار الخاص بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية «الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ونضاله»[١٢١].

ولا ريب في ان هذه التناقضات في الموقف السوفياتي لم تؤثر، بحال، على نمو الوزن الفلسطيني في اعتبارات الكرملين. وفي هذا الصدد، قالت اذاعة موسكو، في ٢٣ تموز (يوليو): «ان الفلسطينيين شعب يمارس نضالاً بطولياً، منذ سنوات عديدة، لاسترجاع حقوقه المغتصبة. وخلال هذه السنوات، اصبحت المقاومة الفلسطينية أقوى كثيراً، على الصعيدين العددي والتنظيمي. وقد اعترفت دول عديدة بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً رسمياً للشعب الفلسطيني. واشترك قادة المنظمة في كثير من الندوات والمؤتمرات الدولية»[١٢٢]. وفي السياق ذاته، أكد ايغور بلياييف ان حركة المقاومة الفلسطينية باتت أكثر أهمية في التأثير في احداث المنطقة[١٢٣].

غير ان الحدث الأهمّ، فلسطينياً، كان الاعلان عن دعوة رئيس المنظمة، في ١٥ آب (اغسطس) ١٩٧٣، لزيارة الاتحاد السوفياتي، كضيف شرف في المهرجان الرياضي لشباب الجامعات في العالم. وعلى الاثر، توجّه وفد فلسطيني الى موسكو، برئاسة عرفات، فأجرى، خلال الزيارة، محادثات مع لجنة التضامن الافرو ـ آسيوي السوفياتية. وفي اليوم التالي، عقد الوفد الفلسطيني اجتماعاً مع بوناماريوف، وآخر مع السكرتير الاول للجنة المركزية للكومسمول، تيجالنيكوف[١٢٤]، الّا ان ذلك كله لم يؤد الى اعتراف رسمي سوفياتي بمنظمة التحرير الفلسطينية.

هذا الموقف السوفياتي لم تستطع معركة عسكرية في حجم حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، ان تهزّه. فمنذ اللحظة الاولى للحرب، بل وقبلها بوقت قصير، دبّ نشاط مكثّف في مفاصل الدبلوماسية السوفياتية لتقويم الموقف الجديد في المنطقة؛ فقد تكثّفت المشاورات السوفياتية، في أيلول (سبتمبر)، مع القيادة المصرية؛ وذُكر، في هذا الشأن، ان السادات وبريجينيف تبادلا رسائل تتعلّق بموضوعات دولية وعربية هامّة متّصلة بأزمة الشرق الاوسط؛ وقيل ان البلدين يمضيان في تمتين أواصر العلاقة فيما بينهما، وذكر، أيضاً، ان قمة مصرية ـ سوفياتية ليست مستبعدة على الاطلاق[١٢٥].

في هذا الوقت، كان الاعلام السوفياتي يركّز على تحرّكات مصر في الاطار العربي، على الرغم من انها لا تدخل، بشكل ما، وبصورة تقليدية، ضمن نطاق ما هو مقبول سوفياتياً. فبعد مؤتمر القمة الذي جمع الرئيسين السادات وحافظ الاسد والملك حسين في القاهرة، في ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣، رحّبت اذاعة موسكو بالبيان الصادر اثر المؤتمر، قائلة: «في ظروف العدوان الاسرائيلي المستمر، ظهرت، أكثر فأكثر، الحاجة الى التنسيق الكامل في العمل بين دول المواجهة العربية». وكانت الاذاعة ذاتها صرّحت، في ١١ أيلول (سبتمبر)، بأنه «يجب الغاء كل ما من شأنه الحؤول دون تدعيم الموقف الحاضر للبلدان العربية في صراعها ضد العدوان الاسرائيلي. ان ذلك يشكّل مطلباً رئيساً في برنامج عمل العالم العربي». كما ان الاذاعة رحّبت، في ١٤ أيلول (سبتمبر)، باستئناف